بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بدأ الخلق وجعل له أمداً ينتهي إليه ، أحمده حمداً تاماً حسناً كافياً ، وأصلي وأسلم على المبعوث بالرحمة هادياً ، محمد واله الأتقياء الأوصياء وأصحابه النجباء.

وبعد فإنّ البحث في الوقف والابتداء ينفتح على علوم متعدّدة ، ليؤسِّسَ حلقة وصل تلتقي عليها الأنظار المتباينة بالتعاطي والترافد بمناويل متآسرة تارة ومتغايرة أخرى ، ليس في زمن معيّن من تأريخ البحث في علوم اللغة والدين ، بل على مرِّ أحقاب البحث وتأريخ المعرفة اللسانية والدينية ، ومازال الوقف والابتداء يمثل مشغلاً لسانياً يتخلل مستويات التحليل المتنوعة صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة وتداولاً .

ومن هنا فإنَّ البحث في هذا الموضوع يكتسب أهميته المعرفية ، ويكوّن مقصدنا العلمي في مرحلة البحث الأكاديمي متجهين نحو مقاربة (الوقف والابتداء) في التراث بما حوى من خبء مكنون ، تمثَّلَ في الصدور عن أسس علمية وصفت الوقف والابتداء وفسّرت ظواهره وقعّدت قوانينه ، وضبطته كفاية وإنجازاً بملاحظة الصور والأنماط والعلاقات والآثار ، وربط قواعد الوقف ومستويات الأداء بالدلالة والتداول .

ويتحققّ هذا القصد بتناول أثر من آثار علماء القراءات السبع بل شيخ القرّاء في عصره ، وهو (كتاب الوقف والابتداء) للقسطلاني صاحب لطائف الإشارات المعروف بسعة أنظاره وانفتاحها على علوم النص القرآني شكلاً

ومضموناً ، ولاسيّما ما يمثله القسطلاني من مرحلة علمية وتاريخية اتسمت بتطور المعرفة الإسلامية واتصافها بالنضج والاكتمال ، إذ يمثّل هذا الكتاب حلقة من حلقات الدراسات العلمية التي تناولت النص القرآني في مستوى الأداء ، فجمع بين دفتيه علوم اللغة والتشريع الإسلامي ، حين جرّد القسطلاني أُداوته المعرفية محلّلاً ومنظراً في مقاربة مواضع الوقف وظواهره لاستكناه مضامينه وآثاره . إنّ الاختيار المنهجي في هذا العمل الأكاديمي ملتزم بمسار علمي حدّده الضبط التوثيقي لإخراج نصوص القسطلاني متسقة منسجمة مع توجّهات أهل اللغة والقراءة ، فعمدنا إلى تقصي النص وقراءته قراءة موضوعية تسهم في الحفاظ على هويته المعرفية وخصائصه الذاتية ، وتطلب الدقة في بلوغ مقاصد منتجه ، بحسب ما يقتضيه الاشتغال العلمي بإخراج النصوص القديمة، فعملنا على إصلاح ماطرأ على النسخة الفريدة من عبث التداول وتعاقب الأزمان عليها .

وقد فرض علينا هذا العمل الأكاديمي لتشكيل صورة مثلى عن هذا البحث الذي جسّد – مدخلاً متعدّد الاختصاصات – أنْ نتحاور مع أنظار وأفكار فرضت نفسها على البحث ، وأنْ نتعاطى معها بحذر وبما يسهم في إنضاج مقدمة تحليلية تتضمن الأفكار والمفاهيم العلمية التي انتظمت مفاصل الكتاب ، على أنّ المحاور التي كوّنت القسم الدراسي من هذا العمل تمخضت عن أطر نظرية تراثية ولسانية سايرت هذا العلم منذ تأسيسه حتى يومنا الحاضر.

وليس غرضنا من هذا البحث أن نعيد إخراج الكتاب ليحظى بطباعة تقنية حديثة فحسب، بل لتقديمه للمؤسسات العلمية بما ينسجم مع الثوابت

العلمية ، وبما يجعله رافداً معرفياً يمدّ دارسي علم الوقف والابتداء ، بله علوم اللسان كافة ، بمادة تطبيقية وأنظار عملية عن الإجراءات الصوتية والتركيبية والدلالية والتداولية ، والقوانين التي تحكم اداء الخطاب القرآني في أبعاده الغائية والحجاجية ، والمقاربات التي أنجزها علماء اللسان العربي.

وعلى هذا الأساس يتألف هذا العمل من جزأين رئيسين ؛ أولهما دراسة توزّعت بين فصول ، الأول عن حياة مؤلف الكتاب القسطلاني وآثاره العلمية ،والثاني لتعريف علم الوقف والابتداء وتبيان أنواعه وأقسامه وأهميته وعلاقته بالعلوم الاخرى ، وسرد مصنفات هذا العلم المستقلة ، وأثر القراءات القرآنية فيه ، وعلاقة الوقف بالفواصل القرآنية ، والفصل الثالث لأهمية القيم التركيبية في الوقف والابتداء ، على ماجاء في كتاب القسطلاني وما أثبته في تحليله مستويات الوقف من قرائن التركيب وعلاقات النحو ، والفصل الرابع لقيم المعنى في أقسام الوقف والابتداء ، وتوزّع بين مستويين الأول المستوى الدلالي والثاني المستوى التداولي ، مسترفدين في هذا المبحث أهم الأنظار الحديثة في مثاقفة مفاهيم القسطلاني التي قارب فيها مستويات المعنى في الوقف والابتداء.

أمّا القسم الثاني فهو مركز القصد من هذا العمل ، إذ تكرّس في إخراج النص على وفق أسس التحقيق والتوثيق والموازنة ، مما يحتّم استجماع ما كتب في هذا العلم من منجزات معرفية سابقة ، وتدقيق روافد النص الأساسية ، وتتبع إحالاته ، وتقصي شواهده ومقتبساته، وجهد البحث على تجنب الاختصار المخلّ والاسهاب الممل في هوامش التحقيق ، فاقتصر على ماينير جوانب النص ويضفي عليه خصائص الرصانة التي تجعله غنياً لقارئيه ومغنياً لطالبيه.

ولعلّ النقص جبلّة عمل ابن آدم ، وما هذا العمل إلا لبنة في بناء دراسات علمية تخدم كتاب الله المجيد ، فإلى الله ابتهل أنْ يجبر نقصه وأنْ يتقبله بأحسن القبول ، إنّه وليّ كل نعمة ومنتهى كل رغبة

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

محمد وآله الطيبين الطاهرين